ResearchGate

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: https://www.researchgate.net/publication/262179032

ضوابط استخدام وسائل الاتصال الحديثة

Conference Paper · April 2014

CITATIONS
0

READS
1,563

1 author:

Mamoun Nawahdah
Birzeit University
22 PUBLICATIONS **13** CITATIONS

SEE PROFILE

Available from: Mamoun Nawahdah
Retrieved on: 06 October 2016

ضوابط استخدام وسائل الاتصال الحديثة

إعداد
الدكتور إسماعيل أمين نواهضة[1]
الدكتور مأمون إسماعيل نواهضة[2]

المقدمة:

لقد تطورت وسائل الاتصال في عصرنا الحاضر تطوراً فريداً من نوعه جعل الإنسان يقف متعجباً ومنبهراً من ذلك، بعد أن كانت في الزمن السابق منحصرة في وسائل محدودة وبدائية،وقد قربت هذه الوسائل بين الأشخاص المتباعدين جغرافياً، وجعلت العالم يبدو بحق كقرية صغيرة من حيث سهولة التواصل وتبادل المعلومات والخبرات، ومما لا شك فيه أن هذا التطور أحدث نقلة نوعية في حياة البشرية في جميع المجالات، ولكنه سلاح ذو حدين، فإما أن يكون نعمة على البشرية ومصدر سعادة وهناء وراحة بال، إذا استخدم حسب الأصول وبما يتفق مع الضوابط الشرعية، وإما أن يكون نقمة عليها ومصدر شقاء وتعاسة لها إذا استخدم عكس ذلك. والإنسان هو الذي يتحكم في ذلك، وكل شيء في الكون يمكن أن يستخدم في البناء أو الهدم، والحديث عن هذا الموضوع – ببيان أصوله وتعريفه ومبادئه وضوابطه، وإيجابياته وسلبياته– أصبح من الضرورة بمكان وخاصة في هذا الوقت الذي يساء فيه استعماله واستخدامه،حتى أضحى مرعباً ومخيفاً لدى الكثير من الناس. نحن لا ننكر أن وسائل الاتصال الحديثة أصبحت من لوازم الحياة، يقتنيها الكبير والصغير، والغني والفقير، فكان لزاماً علينا أن نتحدث عن ضوابط وآداب استخدامها بما يجعلها وسائل نافعة تحقق النفع والفائدة والمصلحة الخاصة والعامة، وما يدرأ عن مستخدميها الضرر والفساد والعبث والفساد والفجور، فإن من الناس من أحسن استخدامها ضمن الضوابط الشرعية فعادت عليه وعلى المجتمع بالنفع والفائدة في الدنيا والآخرة، من علم نافع كالمكتبات الإسلامية بتعدد أنواعها وأحجامها، والمكتبات العلمية بصفة عامة، وتواصل محمود، ونشر للفضيلة ومحاربة للرذيلة، ودعوة إلى الخير وطرقه، وتحذير من الشر ووسائله،والتوعية بما يحقق المصلحة العامة والأمن والآمان، ومنهم منأساء استخدامها، فكانت باباً للفساد الخلقي والتلوث الفكري، وضياع الوقت، ونشر للأكاذيب والإشاعات والأباطيل، وإساءة للبعض والمساس بالأعراض، ولا يكاد يمضي يوم إلا ونسمع عن مثل هذه المفاسد والتجاوزات.

تعريف وسائل الاتصال:

المختصون في هذا المجال عرفوا وسائل الاتصال بتعاريف كثيرة مختلفة العبارات والألفاظ متفقة المعاني غالباً ومجمل هذه التعاريف هو: نقل معلومات ومهارات، وتبادل فكري ووجداني وسلوكي بين أبناء البشر، أو هو العملية التي يتم من خلالها نقل رسالة معينة أو مجموعة من الرسائل من مرسل أو مصدر

---

[1]خطيب المسجد الأقصى المبارك - العميد الأسبق لكليتي الدعوة والقرآن/جامعة القدس.
[2]أستاذ مساعد –كلية تكنولوجيا المعلومات /جامعة بيرزيت.

معين إلى مستقبل، أما الاتصال الجماهيري فهو ذلك النمط من الاتصال الذي يتم بين أكثر من شخصين لإتمام العملية الاتصالية والتي غالباً ما تقوم بها بعض المؤسسات عن طريق رسائل جماهيرية.

مكونات عملية الاتصال:

الاتصال عملية يقوم فيها طرف أول(مرسل) بإرسال رسالةإلى طرف مقابل (مستقبل) يكون له أثر معين عليه. وعناصره هي:

1- المصدرويقصد به المرسل، ويكون فرداً أو جماعة، أو مؤسسة أو شركة.

2- الرسالة وهي المضمون أو المحتوى الذي ينقله المرسل إلى المستقبل.

3- القناة وهي الوسيلة الإعلامية المتمثلة باللغة أو الصحيفة، أو الوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية، أو الحاسوب بأنواعه وأشكاله المتعددة، أو الهاتف بأنواعه أو الانترنت أو الإميل أو المسنجر أو السكايب، أو الملصقة، أو المطوية التي تعد من أفضل وسائل الإعلام في المناسبات العامة، إلى غير ذلك.

4- المستقبل وهو الطرف الثاني الذي وصلته الرسالة من الطرف الأول (المرسل).

5- ردة الفعل وهي الاستجابة أو الرسالة المضادة التي يرسلها المستقبل رداً على رسالة المرسل.

وسائل الاتصال القديمة: قديماً كانت الحياة تمتاز بالبساطة والسهولة وعدم التعقيد، إلا أنها كانت تستنفذ من الناس جهداً كبيراً ووقتا طويلاً، فكان الناس يتواصلون فيما بينهم بالرسائل حيث كان الملوك يرسلون رسائلهم إلى دولة أو جهة معينة بوساطة الحمام الزاجل، كذلك من وسائل الاتصال الدخان أو النار كإشارة متفق عليها أو معروفة لدى الطرفين.أو أشخاص يكلفون بحمل رسائل معينة إلى جهات محدودة مستعملين الجمال أو الخيول الخ.

وسائل الاتصال الحديثة: وتتمثل بالأقمار الصناعية التي تسمى بوسيلة الوسائل، ووظيفتها متعددة من أبرزها استلام الموجات الصاعدة من المحطات الأرضية، ثم تغيير ترددتها وتضخيمها وإرسالها مرة أخرى إلى المحطات الأرضية (المستقبل). (1)

الأثر السلبي لوسائل الاتصال الحديثة:

إن المفارقة المدهشة في ثورة الاتصالات أنها قربت المتباعدين وأبعدت المتقاربين، فأصبح الإنسان يتواصل بسهولة واستمتاع مع أشخاص من أماكن مختلفة في هذا الكون الرحيب، ويمضي أوقاتاً طويلة وجهداً كبيراً في سبيل ذلك. وكل هذا على حساب أسرته وزوجته وأبنائه ووالديه وأصدقائه وجيرانه، وقد يكون ذلك سبباً في في عدم المحافظة على الصلوات ومتطلبات الدين. وهناك من يرجع التفكك الأسري وفساد العلاقات بين الأفراد والجماعات إلى هذا التقدم في وسائل الاتصالات الحديثة. هذه النظرة السلبية التي يعتبرها البعض سبب الفساد الإجتماعي لدى الأفراد لا يتفق عليها الباحثون والدارسون، والبعض يعتبرها مغالاة وتشنجاً أمام تطور هائل وإيجابي أنتجه العقل الإنساني.

العلاقة بين تقنيات الاتصال والعزلة الإجتماعية:

توصلت الدراسة التي أجراها مشروع"بيو للإنترنت والحياة الأمريكية" إلى أن الأمريكيين الذين يستخدمون تقنيات الإتصال الحديثة إجتماعيون أكثر من غيرهم، وإن الإنترنت والهواتف المحمولة لا تشد الناس بعيداً عن الأوساط الإجتماعية التقليدية بل تعززها، حيث يرتبط استخدامها بشبكات منافسة أوسع وأكثر تنوعاً.وبالرغم من أن الدراسة الجديدة أشارت إلى أن استخدام الشبكات الإجتماعية مثل الفيسبوك قد يحتل مكان العلاقات مع الجيران، إلا أنها تبين أن مستخدمي الانترنت قد يزورون جيرانهممثلهم مثل الآخرين، كما أن الأشخاص الذين يستخدمون الهواتف المحمولة وشبكة الإنترنت بكثرة أثناء العمل، غالباً ما ينتمون إلى مجموعات تطوعية محلية أيضاً.

ولكن قد يسأل البعض ما مدى صلة هذه الدراسة بالمجتمعات العربية التي تتخذ فيها العلاقات الأسرية والإجتماعية أبعاداً أعمق وأوثق من مثيلاتها في الثقافات الأخرى؟ قال أستاذ علم النفس الإجتماعي في جامعة اليرموك الدكتور عدنان العتوم :"إن ثورة المعلومات والإتصالات وانتشار الإنترنت في البيوت والمؤسسات والمقاهي تعد ظاهرة تستحق الاهتمام والدراسة لمعرفة آثارها الإجتماعية والنفسية وما تركت آثارها في الجوانب الأخرى العديدة. وأضاف، لوكالة الأنباء الأردنية: إن استخدام الإنترنت من قبل العديد من الناس وخصوصاً شرائح المراهقين والشباب أصبح من الظواهر التي يرى الإنسان العادي انعكاساتها مع كل من يتعامل مع هذه الشرائح... فاستخدام الإنترنت أصبح بديلاً للتفاعل الإجتماعي الصحي مع الرفاق والأقارب وأصبح هم الفرد قضاء الساعات الطويلة في استكشاف مواقع الإنترنت المتعددة مما يعني تغيراً في منظومة القيم الإجتماعية وقيم العمل الإجماعي المشترك الذي يمثل عنصراً هاماً في ثقافتنا. " وأشار إلىأن الاستخدام الفردي للحواسيب والإنترنت يعزز الرغبة والميل للوحدة والعزلة للمراهقين والشباب مما يقلل من فرص التفاعل والنمو الإجتماعي والإنفعالي الصحي الذي لا يقل أهمية عن النمو المعرفي وحب الاستطلاع والاستكشاف، وأن بعض الدراسات الأولية تشير إلى أن استخدام الإنترنت يعرض الأطفال والمراهقين إلى مواد ومعلومات خيالية وغير واقعية مما يعيق تفكيرهم وتكيفهم وينمي بعض الأفكار غير العقلانية وخصوصاً ما يتصل منها بنمط العلاقات الشخصية وأنماط الحياة والعادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الأخرى.وبين أن دخول الإنترنت مجالات الحياة الواسعة أصبح عاملاً مساعداً في تقوية الفجوة بين الأجيال فيما يتعلق بثقافة الحوسبة والاتصال مع العالم الخارجي، بل إن الكثير من الناس الذين لا يتمتعون بميزة استخدام الإنترنت أصبحوا عرضة للاتهام بالتخلف والغباء مما يساعد على تطوير نموذج من الصراع الإجتماعي والثقافي بين الأجيال أو شرائح المجتمع أو بين الصغار والكبار، أو بين الأبناء والآباء.

تأثير الوسائل الحديثة على شريحة الأطفال:

من خلال متابعتنا وملاحظاتنا لأطفالنا نجد أن هؤلاء الأطفال يتعلقون بشكل غريب وعجيب في هذه الوسائل إلى درجة يصل إلى ما يشبه الإدمان، ولا نبالغ إذا قلنا إنه يصل إلى الإدمان الحقيقي، فنراهم يقضون معظم يومهم في الجلوس على هذه الأجهزة بالرغم من حاجتهم إلى الطعام والشراب وممارسة

الشعائر الدينية إلى غير ذلك من متطلبات الحياة، وينكب هؤلاء على أنفسهم إلى درجة الشعور بالاكتئاب واللامبالاة، لا ننكر أن الأطفال يستفيدون ويتعلمون الشيء الكثير بل ويصبح لديهم ثروة علمية وثقافية تفوق مستواهم العمري، لكن إذا ما قيست هذه الفوائد بالآثار السلبية فإنها تفقد إيجابياتها، والقاعدة الفقهية التي استنبطها العلماء من الأدلة الشرعية تقول: "**درء المفاسد أولى من جلب المنافع**". وهذا ما أكدته الدراسة التي أجرتها وقامت بها منظمة "أنقذوا الأطفال" العالمية،(2) أن تقنيات الاتصال الحديثة أوجدت جيلاً من الأطفال يعاني من الوحدة وعدم القدرة على تكوين صداقات. واعتمدت النتائج على استطلاع أجري على عينة من مائة معلم أكدوا فيها أن 70% منهم: على أن قضاء الأطفال ساعات طويلة بشكل منفرد مع التقنيات وبخاصة الإنترنت يؤثر سلباً على مهاراتهم الإجتماعية.

تأثير الإنترنت على الحياة الزوجية:

من الملاحظ أنه في الآونة الآخيرة ارتفاع نسبة حالات الطلاق في مجتمعنا الفلسطيني والمجتمعات العربية والإسلامية، إلى درجة أن نسب الطلاق في بعض المجتمعات فاقت نسب الزواج، بالإضافة إلى التفكك الأسري وكثرة حالات الخلاف بين الزوجين، إلى درجة أصبحت حياة الكثير من البيوت جحيماً لا يطاق، وما ذلك إلّا بسبب انتشار الوسائل الحديثة وفي مقدمتها الإنترنت، فلا يكاد بيت يخلو منه، وإذا كنا قد تحدثنا عن تعلق الأطفال به إلى درجة الإدمان ، فإن بعض الأزواج لا يقل تعلقهم عن الأطفال، وهذا ما دفع البعض إلى إطلاق مصطلح "أرامل النت". فإن من أخطر الأمور على الأسرة هو إدمان أحد الزوجين على الإنترنت، وافتتانه بالمواقع الإباحية التي أصبحت تتصدر الكثير من المواقع الإلكترونية، لأنها أصبحت وسيلة للحصول على الكسب المادي الحرام، ولذلك استغلت بعض المواقع هذه الرذيلة لترويجها عبر الإنترنت، إما عن طريق المجان أو بمقابل، لكن في الغالب أن هذا الأمر ميسر بدون مقابل. فهذا الأمر لا يباعد بين الزوجين وينزع الثقة من بينهما فحسب، لأن ما يعرض يجعل أحدهما أو كليهما يقارن الذي يشاهده بما هو عنده، فتحدث الفجوة، وخاصة أن ما يعرض هو من باب التمثيل بحيث يفتتن الزوجان بذلك،كذلك الأمر ما يشاهد يغير طبيعة التفكير والإحساس عند الزوجين، ويجعل الرغبة الطبيعية توجد في ظروف خاصة، ولا يعود للمؤثرات العادية بينهما قوة تذكر. فخطورة ممارسة الرذيلة عبر الإنترنت ليست كغيرها، فالرجل المفتون بهذه المواقع غالباً ما يزهد في زوجته، وتصبح الرغبة عنده مفقودة أو ضعيفة أو كما يعبر البعض عن ذلك تصبح مشفرة، ولا يفكها سوى جو العزلة والسريةوالإلكترونية الذي توفره غرف الدردشة، والسكايب والمواقع المشبوهة وغير ذلك. وقد دفعت هذه الحالة بالبعض –كما ذكرت– إلى إطلاق لقب أرامل الإنترنت– على الزوجات اللاتي يعانين من سقوط أزواجهن في في هذا الوحل وهذا المسستنقع. ويغيبون عن ممارسة أي دور حقيقي في حياتهن أو حياة الأبناء، لأن الخطر لا يقتصر فقط على الزوجات وإنما يطال ويصيب الأسرة بكاملها، ومن ثم المجتمع ومما تجدر الإشارة إليه أن الخطر لا يأتي فقط من المواقع الإباحية، بل الإدمان على الإنترنت بصورة عامة قد يؤدي إلى هذه السلبيات والمخاطر، وكما قيل كل شيء يزيد عن حده ينقص.

تقول إحدى الزوجات وعمرها خمسة وثلاثون عاماً: "أعلم تماماً أن زوجي لا يستخدم الإنترنت من أجل الدخول إلى المواقع السيئة أو الإباحية، ولكنني أكره هذه الشبكة لأنها سلبت أسرتي لحظات الإجتماع الدافئة الجميلة."

بل كثيراً ما نلاحظ أن البعض من الأشخاص تراه وهو جالس مع أصحابه أو حتى أثناء المؤتمرات والاجتماعات يعبث بجهازه المحمول على اختلاف أنواعه وأشكاله، مما يجعل الآخرين يضيقون ذرعاً به، وفي النهاية تسوء العلاقة بين الأفراد والأصحاب.وتقول الباحثة النفسية أ/داليا حنفي: "إن الحد الفاصل بين إيجابية وسائل الاتصال الحديثة أو سلبيتها يتحدد وفقاً لطبيعة الاستعمال، وإذا ما كان في الحدود الطبيعية أم إدماناً، فالإدمان لا يقتصر على تعاطي مواد لها تأثير معين على الجسم، وإنما هو حالة الاعتمادية وعدم الاستغناء عن شيء ما،والشعور بالحاجة إلى المزيد لحصول الإشباع، وترتُب اضطرابات في السلوك". وتضيف: "إذا أردنا معرفة تأثير استخدام تقنيات الاتصال على السلوك الإجتماعي والعلاقات الأسرية فلا يمكننا إصدار حكم عام، فالأمر يعتمد أساساً وبالدرجة الأولى على حجم الاستخدام، وعدد الساعات التي ينفقها الشخص مستخدماً للموبايل أو لشبكة الإنترنت، وفي نظر عالمة النفس الأمريكية "كيمبرلي يونج" وهي أول من اهتم بإدمان الإنترنت، فإن استخدامه لأكثر من 38 ساعة أسبوعياً هو مؤشر الإدمان. وتؤكد " أ/د داليا" على أن مدمن الإنترنت أو من يسرف في استخدامه غالباً ما يسئ هذا الاستخدام، ويكون أكثرعرضة للإنجراف في المواقع الإباحية، وعلى أية حال فإنه يسعى لتأسيس حياة منفصلة له في هذا العالم الإفتراضي يهرب فيها من واقعه كما هو حال المدمن بشكل عام، وهذا يؤثر على واقعه ويجعله أكثر تعقيداً وبرودة، ويفاقم مشكلاته الإجتماعية والأسرية، وأخطر ما في الأمر هو أن وجود العالم الإلكتروني الممتع الذي يهرب إليه يفقده الرغبة في إحداث تغيير أو تحسين حياته الحقيقية فتزداد سوءاً كلما ازداد إدماناً."

رأي الأسر في مصر حول استخدام الإنترنت:

كشف استطلاع أجراه (مركز استطلاع الرأي العام) في مصر عن رأي الشباب في استخدامهم للإنترنت أنه على الرغم من قناعة هؤلاء الشباب بأن أهم مميزات الإنترنت هي توسيع المدارك وزيادة المعلومات إلا أن استخدامهم لها انحصر في المحادثة وتحميل الأغاني والأفلام واستخدام البريد الإلكتروني.وأشار معظم الشباب إلى عدم تأثير استخدام الإنترنت على اهتماماتهم الأخرى مثل مشاهدة التلفزيون وقراءة الصحف والمجلات.أما عن رأي الأسر ففي استطلاع آخر أجراه المركز تبين أن أكثر من نصف العينة يرون أن تأثير الإنترنت يعتبر إيجابياً على أبنائهم، وأكد أكثر من ثلاثة أرباع العينة أن أهم ميزة للإنترنت هي الوصول السريع للمعلومات.أما الدراسة التي قام بها كل من الدكتور محمد سعيد والدكتور وجدي شفيق بكلية الآداب جامعة طنطا عن (الآثار الإجتماعية للإنترنت على الشباب) فقد كشفت أن خمسين في المائة من العينة يذهبون إلى أن شبكة الإنترنت تؤثر سلباً على الوقت الذي يتم قضاؤه مع أسرهم، ورأي يقول: أن اثنين وخمسين في المائة من المبحوثين أن لشبكة الإنترنت تأثيراً سلبياً على

العلاقات الأسرية، وذهب ستون في المائة أن لها تأثيراً سلبياً على العلاقات مع الأقارب حيث تقل معدلات الزيارات الأسرية.

تقول الأخصائية الإجتماعية أ/ عفت جمعة: "إنها وصلت إلى طريق مسدود مع ابنها الكبير الذي دمر الإنترنت حياته، وسرق زهرة شبابه، وما باليد حيلة!"وتستطرد قائلة:"ابني يتمتع بذكاء حاد، وبطبع خجول، ويميل للإنطوائية منذ الصغر ولكنه لم يخرج أبداً عن الحد المعقول، فكان يلعب في طفولته مع الأطفال، وكان له أصدقاء، وكان يحب الجلوس معنا، ولكن مع دخوله عالم الإنترنت، فقدناه تماماً أو فقد حياته وكل أحبابه". وتضيف بمزيد من الأسى:" لقد أصر زوجي على ألا يحرم ابنه المتفوق من تقنية حديثة تعزز معلوماته، وتسهل دراسته، فمكنه من من الإنترنت في حجرته المغلقة وهو في الصف الثاني الثانوي، ولم تتأثر دراسته فقد تخرج من كلية الطب كما أراد، ولكن ما فائدة ذلك وهو أسير الحاسوب، وإذا فارقه كان معنا جسداً بلا روح أو قلب، وهو يرفض العمل والزواج، فأي حياة هذه؟" وتقول: "على الرغم من عملها كأخصائية اجتماعية لم تستطع مساعدة ابنها الأكبر، وفي كل مرة كانت تصر على منعه من الإنترنت كانت تواجه بالاستخدامات الجيدة والوجه الحسن لهذا العالم العنكبوتي، وإنه لا حق لها في حرمانه من هذا الخير العميم".وما قالته هذه الأخصائية وما توصلت إليه لم يتجاوز الحقيقة، وإن حالة ابنها تنطبق على الكثير من الشباب والأبناء والبنات، وأصبح الكثير من الآباء والأمهات يشكون من هذه الظاهرة الخطيرة.

وعلى الجانب الآخر يقف أحمد ابراهيم وهو طالب في الفرقة الرابعة بكلية الهندسة جامعة حلوان، فقد أبدى دهشته واستغرابه من تعامل الكثير من الآباء والأمهات مع الإنترنت"وكأنه رجس من عمل الشيطان".ويقول:"هذه الشبكة من نعم الله على البشرية، فكم من شخص اهتدى وعرف الله من خلالها؟ وكم من أشخاص تلقوا المساعدة النفسية أو الإجتماعية بسلاسة ويسر وخصوصية عبرها؟ وكم من طالب وباحث وعالم تيسرت أمورهم بهذه الثورة المعلوماتية ؟ ويتساءل: لماذا نصر على رؤية الجوانب المظلمة؟ ثم لماذا لا نتمتع بالموضوعية؟ ونقر بأن هذه الجوانب المظلمة ليست حكراً على الإنترنت، وإن من يريد الرذيلة والضلال فلن يعجز عنهما سواء بالإنترنت أو بدونه".وتعقيباً على ما ذكره هذا الطالب أقول:إن الفوائد التي أوردها لا أحد يستطيع إنكارها لأنها حقيقة، والمطلوب النظر في الجوانب المشرقة لا المظلمة لكن مع المراقبة والتقيد بالضوابط الشرعية، أما ما ذكره بأن من يريد الرذيلة ...الخ فلا أتفق معه وقد يشاركني الكثيرفي هذا الرأي، لأن الإنترنت يسهل الوصول إلى الرذيلة والفساد دون التعرض للمساءلة أو العقاب الدنيوي، أو دون أن يطلع عليه أحد إلا رب العالمين، كما يحدث في غرف المحادثة أو الماسنجر أو السكايب فهو صوت وصورة تقريباً وكأنك جالس مع من تتحدث معه، و من شأن ذلك أن يوقع في الرذيلة الحقيقية، والله سبحانه وتعالى أمرنا بغض البصر عن المحرمات حتى لا يكون عدم الغض وسيلة للوقوع فيها قال تعالى:(*قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن...*)[3].وكما قال الشاعر أحمد شوقي:

---

[3]سورة النور: 31-32

نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاء[4].

وعليه فإن من الخطأ التعميم في الحكم على الأشياء، إضافة إلى ذلك فإن هذا الطالب بنى حكمه على تجربته الشخصية فقط وهذا خطأ.(3)

آداب استخدام وسائل الاتصال الحديثة بشكل عام والإنترنت بشكل خاص:

إن من أبرز تلك الآداب:

1- أن يستشعر المرء أن تلك الوسائل نعمة من نعم الله تعالى، تستوجب علينا شكره، بعدم معصيته ومخالفة أمره، فهو الواهب المنعم الذي سخرها لنا بفضله وكرمه، قال تعالى: (*وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون*)[5] ومن مقتضيات شكر النعمة أن يستخدمها المرء فيما يرضي الله تعالى وأباحه، ويتجنب أن يستخدمها في معصيته ومساخطه.

2- أن يتذكر الإنسان المستخدم مسؤوليته عما تجترحه جوارحه من أفعال وأقوال، قال تعالى: (*يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين*)[6].

قال قتادة: "ابن آدم، والله إن عليك لشهوداً غير متهمة، فراقبهم واتق الله في سرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عنه خافية، والظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة إلا بالله". فعلى المرء أن يتقي الله في كل ما يتكلم به، أو يكتبه، أو ينظر إليه، أو ينشره، وليحذر من نشر السوء والفاحشة، وإقامة العلاقات غير المشروعة، وقد حدثت مآس وانتهاك للأعراض نتيجة التساهل والتمادي في تلك العلاقات. وليحذر وعيد الله عز وجل بقوله:(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[7].

3- أن يكون المستخدم لتلك الوسائل مشعل خيروهداية وإصلاح، فيكون له من الأجر والثواب بقدر ما انتفع به من تواصل معهم ونشر الخير بينهم، وليحذر أن يكون مبعث شر ومعصية وإفساد، فيكون عليه من الوزر بقدر ما أفسدهم وأغواهم. قال تعالى:(*ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم آلا ساء ما يزرون*)[8]. وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال:(*من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً*).قال الإمام النووي –رحمه الله–:"من دعا إلى هدي كان

---

[4] 111/2 الشوقيات
[5] سورة الجاثية : 13
[6] سورة النور: 24-25
[7] سورة النور: 19
[8] سورة النحل:25

له مثل أجور متابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدي والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه، وسواء كان تعليم علم أو عبادة أو أدب، أو غير ذلك"

وكم من أناس نشروا الخير والدعوة والعلم النافع، ونصرة الحق والدفاع عن المستضعفين، ولا تزال الحسنات تتوالى في موازينهم وهم في قبورهم، وأناس آخرون –نسأل الله العافية– لا تزال السيئات تترى عليهم، جزاء ما نشروه من فساد فكري، وانحلال خلقي، وتأييد للظلم والظالمين.

إن التسرع في نشر الأخبار الكاذبة أو غير الموثوقة ونشر الإشاعات المدمرة هي من آفات استخدام تلك الوسائل،وهذا ما ينبغي الحذر منه لما يسببه من زعزعة الآمان الإجتماعي، وإثارة الشك والريب والبغضاء بين أفراد المجتمع. قال تعالى محذراً من السلوك الشائن البغيض:(*وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً*)[9]. وقال أيضاَ:(*ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا*)[10]. كما حذر الرسول –صلى الله عليه وسلم– من هذا السلوك بقوله:(*كفى بالمرء إثماً أن يحدثَ بكل ما سمع*)[11]. فالواجب تسخير وتطويع هذه الوسائل الحديثة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وأصبحت تعد من الضروريات الدعوية، ومنبراً إعلامياً من منابرها في عصرنا الحاضر. وأصبح بمقدور كل فرد مستخدم أن يعيد وينشر تغريدات العلماء الثقات من الفوائد والحكم والأحكام الشرعية، والأفكار البناءة عبر هذه التقنيات بكل أشكالها، فيصل مداها بمشيئة الله تعالى إلى كافة الأقطار، فبتغريدة صادقة من قلب مخلص قد يسلم ويهتدي أناس كثيرون بيننا وبينهم مسافات شاسعة، وبهذا تنتشر كلمة الحق لتبلغ الآفاق.(4)

كيف ننقذ أبناءنا وبناتنا وشبابنا من الضياع؟

نحن في زمن العولمة، والفضائيات والإنترنت والهواتف الذكية وغيرها، فأصبحت أعباء التربية والتوجيه والنصح والإرشاد للأبناء والبنات والأخوة والأخوات أكثر ثقلاً، وأعظم مسئولية، وأكبر هماً، فكيف نحن مع من ولانا الله أمرهم في مواجهة تلك المستجدات وغيرها مما يؤثر في السلوك والأخلاق، كيف نحمي أولادنا وأسرنا من تأثير تلك الأجهزة السلبي على سلوكهم وحياتهم؟ في وقت يعج المجتمع بآفات ومغريات يغرق فيها الكثير من المراهقين والمراهقات بسبب غياب دور الولي، أو ثقته الزائدة في ولده ابناً أو بنتاً، هذه الثقة التي حملته على أن يوفر له كل ما يطلبه من هذه الوسائل دون مراقبة أو مساءلاة أو حوار.فالقنوات الفضائية متاحة للأبناء بكل ألوانها، والإنترنت والأجهزة الذكية قد استهلك جلّ وقتهم، والأب المسكين أو الأم المسكينة يقولان: الحمدلله الذي رزقنا المستجدات والتقنيات التي تمنع أبناءنا من الخروج من البيت، وما علم هؤلاء أنها السم الزعاف إذا لم يحكموا عليها رقابتهم وانتباههم، وينظموا أوقات أولادهم من أجل استخدامها.

---

[9]سورة النساء:83

[10]سورة الإسراء:36

[11]رواه الإمام مسلم

وهذه الهواتف النقالة والآي باد وأجهزة الحاسوب أصبحت في يد الصغار والكبار، وتزود برمز دخول، فلا يدري الولي ما هو موجود بداخلها وما تحمله من كلمات وألفاظ وصور ورسائل. وجلسات الاستراحات مأمونة لأنها مع عمه أو ابن عمه وابن خالته وصديقه، وهكذا. وفيها ما فيها من ضياع الأوقات والوقوع في المفاسد والمهلكات.وعلى ضوء ذلك وفي ظل هذه المعطيات تشتد الحاجة:

أولاً: إلى إحكام الرقابة على الأسر والأبناء، ولكن باعتدال واتزان من غير إشعار بالتجسس أو الشك والريبة. وإنما رقابة أشبه ما تكون بالسياج لهم حتى لا يقعوا فريسة للهوى والشهوة والتقليد. قال تعالى:(*يا آيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون*)[12]. وتكون هذه الوقاية بتربيتهم وتعليمهم وتوجيههم.

إن المراقبة المطلوبة يتوجب على الولي أن يعرف أين يذهب ولده في سيارته حينما يخرج فيها، ومن هم أصحابه وجلساؤه، وماذا يوجد في غرفته من محتويات كالأجهزة والأشرطة والكتب، وما هي مواقع الإنترنت التي يدخل إليها، ومن أصحابه الذين يتواصل معهم من خلال المسنجر أو السكايب وغير ذلك، إذ بالإمكان معرفة ذلك، كل هذا بأسلوب هادئ ومعتدل بحيث يجعل الولد لا يفقد شخصيته ومسئوليته عن نفسه، ولا يقيد حريته المحدودة في المباح، فإذا زاد الأمر عن حده انقلب إلى ضده.فإذا ما لاحظ على ابنه أو ابنته شيئاً مريباً وغير لائق، ناقشهم بهدوء وحكمة، محاولاً إقناعهم بما فيه مصلحتهم، وبما يحفظ عليهم دينهم وأخلاقهم، بعيداً عن القسوة والعنف والتقريع والتجريح، الذي قد ينفر الأبناء من آبائهم وأمهاتهم، ومن ثم يحملهم على التمادي والإصرار على الخطأ. فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه.

إن عدم الرقابة أو ضعفها على الأبناء خاصة فيما يستطيعون معه الاستقلالية والخصوصية يجر إلى عواقب وخيمة، قد لا يتنبه الآباء إليها إلا بعد وقوعها، أو كما يقال:"بعدما وقعت الفأس على الرأس" فدرهم وقاية خير من قنطار علاج، فكم من فتاة وقعت في شرك المعاكسة عبر الهاتف أو الدردشة على النت، بسبب السرية التي تفرضها على نفسها بغلق باب غرفتها عليها دون مساءلة أو اعتراض، وكم من شاب وقع ضحية الأفكارالمضللة والغلو المحرم، أو الزيغ والإلحاد بسبب متابعته لبعض المواقع والنقاشات التي تتم عبر الشبكة العنكبوتية، أو القنوات الفضائية، فصار وبالاً عليه وعلى أسرته ومجتمعه، فانفراد الفتاة أوالفتى في غرفة مستقلة بدون مراقبة سلاح ذو حدين، فالأمر ليس مجرد شهوات ونزوات وضيعة، وإنما هي شبهات تجعل الحليم حيراناً، وتعصف بالعقل والإدراك، حتى ولو كان في ظاهره ذكياً مدركاً.

فلنتق الله في أولادنا ولنستشعر مسئوليتنا تجاههم، فإنهم أغلى من كل ما نملك، وأكثر ربحاًمن متاع الدنيا التي طالما سعينا إليها، وسخرنا كل أوقاتنا لها، في وقت بخلنا ببعض الوقت على أولادنا، فلذات أكبادنا. وثمرة كدنا وعملنا، فجلوسنا معهم في البيت والتحدث إليهم وملء فراغهم، يشعرهم بالطمأنينةوالحب والعاطفة، فلماذا نحرمهم من ذلك؟ علينا أن نخصص لهم الوقت الكافي، ولنستشعر قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته).

---

[12] سورةالتحريم: 6

ثانياً: يتوجب على أولياء الأمور والمربين في هذا العصر المشحون بالفتن والشهوات والشبهات والضلالات أن نعتمد على الله تعالى أولاً في تربية أولادنا، ومن ثم على تربيتنا الذاتية، حتى لا نتكلف عسيراً عند المتابعة، تربية تبدأ مع الولد منذ ولادته ونشأته، نبين له من خلالها الحلال والحرام والثواب والعقاب بأسلوب مبسط ميسر، تربية تجعله يخاف الله ويراقبه في كل حركاته وسكناته، ثم نحمله مسئولية الفصل بين الحق والباطل فيما يواجهه في حياته. مع القرب منه وإسعافه بالمشورة والرأي عند اللزوم، وتنبيهه على الخطأ، أو وقايته منه حينما تضعف نفسه في بعض المواقف، فنحن في بحر متلاطم الأمواج، يستلزم أن يكون الناجي من الغرق فيه، أو من يحاول النجاة سباحاً ماهراً حاذقاً، يستطيع أن ينجو بجسده من الرياح والأعاصير والأمواج التي تحيط به من كل حدب وصوب.

ثالثاً: مما يعين على تربية الأولاد ويخفف من مسئولية الرقابة عليهم دون الاستغناء عنها كلياً، ربطهم بالجلساء والرفقاء الصالحين، وبالذهاب إلى دروس العلم وتحفيظ القرآن الكريم، فإن هذه الأمور تعصمهم من كثير من الزلل والخطأ.

رابعاً: الدعاء لهم بالتوفيق والهداية، فالدعاء لهم –مع الحرص على استجماع شروطه– حافظ لهم بمشيئة الله تعالى، عاجلاً أم آجلاً من المكاره والشرور والضياع.

خامساً: غرس محبة الصلاة في قلوب الأولاد، وربطهم بها ربطاً روحيا، تجعلهم لا يقدمون عليها شيئاً، ويسعون إليها بإرادتهم واختيارهم طواعية وبدون إكراه. فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

سادساً: استشعار القدوة الحسنة في نفوس الأولياء، فليحذروا أن يأتوا أمراً أو شيئاً ينكرونه على أولادهم، أو يفعلون ما ينهون عنه، ولنتذكرقول الله تعالى: (يا أيها الذين لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)[13]، ومما يحفظهم أيضاً إشغالهم بالمفيد من القراءة والحفظ ورصد الجوائز التشجيعية لهم.

سابعاً: ومما يعين على التربية الاطلاع على تطور التقنيات الحديثة، والاستعانة بالخبراء والعارفين في وضع الحمايات اللازمة في الأجهزة صوناً من الدخول إلى المواقع المريبة والخادشة، وإن كانت هذه الحمايات محدودة الفائدة إلا أنها تساعد وتخفف(5).

الخلاصة:

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى عدة أمور أبرزها:

1- إن استخدام وسائل التواصل الحديثة بشكل عام والإنترنت بشكل خاص له تأثير سلبي بشكل ملموس على العلاقات الأسرية وخاصة بين الزوجين وبين الأبناء وآبائهم وأمهاتهم، وهو سلاح ذو حدين إذا لم تتوفر الرقابة،مع ضرورة أن يكون الاستخدام ضمنالضوابط الشرعية.

2- ضرورة النظر إلى هذا الموضوع من الجانب المشرق الإيجابي وليس من الجانب المظلم.

---

[13] سورةالصف:2

3- ضرورة تقنين استخدام وسائل التواصل الحديثة وبالذات الإنترنت، بحيث يكون الاستخدام باعتدال حتى لا يتحول إلى ما يشبه الإدمان.

وهذه بعض التوصيات:

1- ضرورة توعية أفراد المجتمع بشكل عام، والشباب منهم بشكل خاص بما يمكن القيام به من خلال استخدام هذه الوسائل، وتوجيههم إلى ما ينفعهم ويأخذ بأيديهم نحو البناء لا الهدم.

2- ضرورة التأكيد على دور الآباء والأمهات وأولياء الأمور بتحمل مسؤولياتهم كاملة تجاه مراقبة ورعاية أبنائهم من مخاطر الشق السلبي من الإنترنت.

3- إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث في مجال تأثير الإنترنت على الأسرة والمجتمع. من الناحية الإيجابية والسلبية.

4- استغلال الوازع الديني والجانب الإيماني في عملية الإصلاح.

5- تحمل السلطة الحاكمة المسئولية تجاه مراقبة مواقع الإنترنت، وأن تحذو حذو بعض البلدان التي تقوم بحجب المواقع الإباحية والشاذة والمشبوهة. وإن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن.

والله الموفق.

المصادر والمراجع:

1-تعريف وسائل الاتصال . بتصرف وزيادة.Wikipedia.org

2-هي منظمة بريطانية غير حكومية، تعنى بالدفاع عن حقوق الطفل حول العالم، تعتبر أول حركة مستقلة تدافع عن الأطفال، حيث إنها تقدم مساعدات إغاثية كما تساعد في دعمهم في البلدان الأخرى. وكيبديا- الموسوعة الحرة.

3-وسائل الاتصال الحديثة وتأثيرها على الأسرة. إعداد مجلة البيان.2010/6/12م.بتصرف وزيادةwww.albayan.com

4-آداب ضوابط التواصل الإجتماعي . يحيى بن سليمان العقيلي.بتصرف وزيادة.www.alminbar.net

5-كيف ننقذ شبابنا من الضياع . الكاتب: إلياس إسكندر. المصدر: مضايف شمر. 2014/1/15م.بتصرف وزيادة.